الطبيعة الاستيطانية للدولة العبرية

د. خالد شوكات*

■ قال ابراهام بورغ رئيس الكنيست الإسرائيلي السابق، في مقال ذاع صيته قبل ثلاث سنوات، أن إسرائيل قد أضحت دولة تقودها عصابات، في إشارة إلى معسكر الحكم القوي داخلها، الذي أصر على عدم فهم المرحلة التاريخية، و تشبث بمنطق القوة ذاته الذي تأسس على قاعدته المشروع السياسي للصهيونية، وقد تنبأ بورغ حينها – في صراحة قل نظيرها لدى القادة السياسيين– باضمحلال الدولة العبرية ما لم يسارع ربابنتها إلى توجيه السفينة نحو ضفة السلام.

تقدير بورغ هذا يزداد مصداقية، عندما يتابع المحلل تطورات الهجمة الإسرائيلية على لبنان، حيث تظهر بوضوح عدم رغبة قادة إسرائيل في تحويل كيانهم إلى حالة طبيعية تبحث عن علاقات عادية مع دول الجوار، و لعله العجز عن إيجاد مصادر حقيقية لشرعية الوجود، وميل إلى الاستعاضة عن همة وتضحيات البحث عن سلام صعب، بتجديد مصدر الشرعية "الوهمي" القديم، أي القوة وبعث الروح في عقيدة المجتمع الإسرائيلي العسكرية، والاستعانة بعقدة الخوف من الاندثار، على الرغم من إدراك لدى البعض بأن أول علامات الاندثار الخوف منه.

إسرائيل المدججة بأقوى أنواع الأسلحة، تظهر على شاشات التلفزيون العالمية مذعورة، وعلى الرغم من أن عدد قتلاها أقل، وعدد طائراتها أكثر، إلا أنها تبدو الأضعف، وعندما تصر على تحميل شعب بأكمله مسؤولية ما فعلت جماعة منه، وتضرب بلا تمحيص المنشئات والمباني والجسور والمطارات والمدارس والمستشفيات على عواهنها فإنها بلا شك في طريقها إلى خسارة الحرب، فالحروب الحقيقية المشرفة لا تربح بهذه الطريقة، والعاجز وحده من يتصرف على هذه الشاكلة.

إسرائيل تعري نفسها وتكشف المزيد من عوراتها، وهي ترمي بنفسها مجددا في المستنقع اللبناني، ولبنان خلافا لبقية دول المواجهة العربية، قوي بضعفه، وقوي بديمقراطيته، وهو وحده من جرب كسر شوكة الجيش الإسرائيلي، وهو وحده من كسر مقولة الجندي الذي لا يقهر، ولهذا فستزداد إسرائيل تورطا وتراجعا في قادم الأيام، و سيكون من الشاق عليها أن تلأم جرحا عانت طويلا حتى تجد فرصة لمداواته، ولئن بدا أنها ستنتصر في المعركة باحتلال جزء من لبنان أو حتى كله، فإنها ستخسر حتما لأنه لن يكون لديها القدرة على إعدام اللبنانيين جميعا، بل سيصعب عليها حتى إعدام الشيعة منهم، وثلاثة أرباعهم على ولاء معروف لحزب الله.

المؤكد أن عملية حزب الله لم تكن تهدف فقط إلى تبادل الأسرى مثلما أعلن الشيخ حسن نصر الله، فاللعبة في المنطقة ليست بهذه البساطة، غير أن إسرائيل سقطت في فخ الاستفزاز، أو وجد بعض قادتها الأغبياء والكسلاء في الأمر فرصة لتقوية مفاهيمهم السياسية البالية داخليا وخارجيا، فالحرب التي قيل أنها قد أعلنت على الإرهاب، إنما كانت عمليا حربا على الديمقراطية الأولى في العالم العربي، والحرب التي قيل أنها تستهدف حزب الله وروابطه الإيرانية والسورية، إنما دك بمدفعية ثقيلة حركة 14 اذار ومعها تطلعات غالبية اللبنانيين، إلى لبنان جديد، ديمقراطي ومستقل وحر، لا يحارب أو يسالم بالنيابة عن غيره، ولا يدفع مواطنوه ثمن مغامرات أنظمة متعفنة في محيطه.

إن المتأمل في الحصيلة الأولية للحرب الهمجية التي تخوضها إسرائيل، سيلاحظ بيسر كيف تمد الدولة العبرية طوق النجاة لنظام بشار الأسد، وكيف تنتصر بالجرائم التي تنفذها بالقنابل الموجهة وبطائرات أف 16 عالية الجودة، إلى تدعيم مصداقية شعارات الغوغائية والمزايدة، وإلى إضعاف المطالب الديمقراطية والإصلاحية والتحررية، ليس في لبنان فحسب، إنما في سائر الأقطار العربية.

قالت روني بن عيفرات، داعية السلام ونصيرة الحق الفلسطيني المعروفة، ذات مرة، أن أكبر عدو لإسرائيل في العالم العربي، هو الديمقراطية، ولهذا فلا غرابة من أن تسعى الدولة العبرية إلى التآمر باستمرار على أي تجربة ديمقراطية في العالم العربي، وقد كانت تجربة لبنان قاب قوسين أو أدنى من النجاح، لو لا الرعب الذي دب في قلوب الساسة النافذين في تل أبيب، ويقينهم بأن أمنهم القومي في خطر، فأي أمن قومي هذا الذي تهز أركانه بضعة صواريخ كاتيوشا، وأي دولة هذه التي تخوض حرب وجود ضد ميليشيا، إنها بلا شك – وبمنطق التاريخ– دولة آيلة للسقوط رغم عنجهيتها الظاهرة والمفتعلة.

إسرائيل دولة تعيش على إنتاج الخوف، وقادتها المتعاقبون، من بن غريون إلى أولمرت، لا يرون في غير تغذية مشاعر الرعب من الأعداء المتكالبين حسب زعمهم، سبيلا لتوحيد أمتهم المصطنعة، ولهذا فإنهم ما فتئوا يفتعلون حربا بعد حرب، ويخوضون صراعا إثر صراع، ليستمر مواطنوهم جنودا وجنود احتياط، في حالة لا وجود لها في العالم بأسره، وإلا ما تفسير أن يجري الرد على عملية اختطاف جنديين بمواجهة عسكرية مفتوحة، و ما مرد أن تعلن في البلاد حالة تعبئة عامة وكأنها مهددة بغزوة خارجية ماحقة.

الحملة الإسرائيلية على لبنان، تثبت أن عملية التواصل بين الدولة العبرية والأطراف العربية، ليست مجدية، حتى وإن كان الطرف المقابل حكومة ديمقراطية منتخبة، كهذه التي يقودها فؤاد السنيورة، أو كتلك التي قادها في الأراضي الفلسطينية محمود عباس أو أحمد قريع، فقادة إسرائيل مولعون بتقديم الأدلة المتتالية على أنهم لا يريدون سلاما، وأنهم مغرمون بتأليف الأعداء لا كسب الأصدقاء، وأنهم لا يمتلكون للمستقبل نظرية للصداقة والإخاء، إنما خططا لإبقاء العقل العسكري متوهجا ومستعدا.

إن الدولة التي تسعى إلى تأمين مستقبلها ببناء الجدران وأسوار الأسلاك الشائكة من حولها، على نمط خطط الحماية في القرون الوسطى، لمدعاة للسخرية، فقد كان الأجدى بقادتها تطبيق قرارات الشرعية الدولية، وفي مقدمتها قرار التقسيم الأممي الذي اعترف لها بالحق في الوجود، لكن قادة الحركة الصهيونية لا يؤمنون فيما يبدو بقوة وإلزامية ومصداقية القانون الدولي، ويحبذون بدلا عن ذلك قوة السلاح والدعم الخارجي و خوف مواطنيها من هجمات العرب البرابرة كما تصورهم دائما الأدبيات ووسائل الإعلام الإسرائيلية.

ولا يعلم على وجه الدقة، كيف يقرأ قادة الحركة الصهيونية التاريخ، فالنماذج التاريخية للدول تثبت أنه من الصعب إقامة دولة على أساس عقيدة عسكرية محاربة لأكثر من مائة عام، وأن الجدران والأسوار العالية لم تحم مدينة من السقوط لمدة تفوق نصف قرن، وأنه ليس ثمة دولة في السيرة البشرية، عاشت معادية لكافة جيرانها، لمدة زادت عن ثلاثة أرباع القرن.

إسرائيل تعمق كراهية العالم العربي والإسلامي لها، بل إن المتابع لتغطية وسائل الإعلام الغربية لوقائع الحرب اللبنانية، يمكنه المجازفة بالقول أن إسرائيل تعمل جاهدة على تقليص هامش التعاطف الغربي معها، حتى أن سبرا لآراء الأوربيين أكد قبل سنة اعتقاد ما يقارب سبعين بالمائة من هؤلاء أن الدولة العبرية المصدر الرئيسي لزعزعة الأمن الدولي، فهل بالمقدور بعد كل هذا تخيل مستقبل آمن ومضمون لهذه الدولة الغريبة.

مشكلة القادة الإسرائيليين، أنهم يخافون على مواطنين من مرض اسمه "السلام"، وأنهم يرون أن هذا المرض قد يفرض عليهم وتيرة حياة طبيعية، يرحل بموجبها ملايين اليهود الشرقيين إلى بلادهم الأصلية القريبة، ويعود فيه اللاجئون الفلسطينيون إلى بلادهم السليبة، فالحلم الجميل بدولة عادية – كسائر دول الدنيا– قد ينقلب إلى كابوس يجعل من المستحيل أن لا تقود الدولة أغلبية فلسطينية، وأن يعود اليهود مجددا إلى وضع الأقلية.

لهذا السبب ربما، فإن الأمل معقود لدى خلفاء بن غريون على الحروب فقط، بالسعي إلى إطالة آمادها إلى أقصى حد ممكن، وافتعالها المتكرر إن لزم الأمر، فالأزمات الخارجية الكبرى تطرد شبح الأزمات الداخلية وتدير عجلة الاقتصاد العسكري وتخلق فرص عمل للعاطلين وتستحث المتبرعين الخارجيين على التبرع أكثر، فضلا عن كونها تغذي عقيدة المتطرفين الدينيين من الأعداء والأصدقاء على السواء، وتزيد من قناعاتهم الراسخة بأن قومة السيد المسيح قاب قوسين أو أدنى.

الحسابات الإسرائيلية في لبنان خاطئة، وسيعلم قادة الدولة العبرية قريبا أي أضرار بليغة ألحقوها بمصالح دولتهم ومواطنيهم، خصوصا ما يتعلق بمستقبل أطفالهم، الذي لا يمكن أن تؤمنه الطائرات المقاتلة والدبابات الزاحفة مهما كانت متطورة، وقد كان حريا بهؤلاء قراءة تاريخ المشاريع الاستيطانية، ليعلموا أن إسرائيل بفعلهم ما تزال مشروعا استيطانيا، يتصرف أهله وأولي الأمر فيه كما تصرف المستوطنون من قبل في الجزائر و زمبابوي وجنوب أفريقيا، وكانت النهاية لأهل الذكر معروفة.

* كاتب من تونس

القدرات الإعلامية ودورها الإيجابي اثناء الحروب

محمود محمد الناكوع *

■ لا شك ان حروب اليوم غير حروب الأمس من عدة وجوه، فحروب القرن الواحد والعشرين تختلف اختلافا جوهريا عن حروب القرن التاسع عشر، كما عن حروب القرن العشرين. حروب اليوم هي حروب سريعة وخاطفة في اغلب الأحيان، اي انها تستغرق بضعة ايام، او بضعة اسابيع، وان تجاوزت ذلك فانها تعتبر من الحروب الخاسرة حتى وان انتهت بالنصر لاحدى القوى المشاركة فيها.

حروب هذا القرن (الواحد والعشرون) الميلادي تعتمد على تطور الاختراعات الحربية، وهي تطورات مذهلة ومنها: الصواريخ، القنابل الذكية، والأجدر ان تسمى القنابل المدمرة والوحشية، الطيران الحربي، طيران التجسس الذي يصور كل شيء على الأرض، البوارج الحربية، الذخائر الفتاكة، الدبابات بانواعها المختلفة، ثم الاسلحة الجرثومية والنووية.

هذه الأسلحة الحديثة والمتطورة الرهيبة عندما تنزل الى ميدان المعارك تقتل وتحرق وتدمر كل هدف خلال اوقات قصيرة... وفي اثناء عمليات الدمار والخراب تنزل الى الميدان ايضا القدرات الإعلامية بشرا وتقنية، فتنقل الى كل العالم بالصورة والصوت والكلمات المكتوبة، آثار وأعمال الآلة العسكرية ومن يستخدمها، وتكشف تلك الوسائل الاعلامية الحديثة جرائم الحرب وجرائم صناع قرار تلك الحرب.

وبعد ساعات فقط من تناقل صور الأطفال والنساء والرجال والحيوانات والأشجار والمباني التي طالتها النيران ومزقتها اربا اربا تتفاعل الشعوب، وخاصة في البلدان الديمقراطية، وتبدأ حركة الاحتجاجات: مسيرات، مقالات، برقيات، رسائل، جمع توقيعات، وجميعها تضغط من اجل وقف الحرب، وكلما طالت الحرب، وزادت الخسائر، كلما زادت الاحتجاجات على حكومات منتخبة من الشعب.

هنا تبرز اهمية رسالة الإعلام وخاصة الفضائيات. ان تطور التقنية الاعلامية قد ساهم وما يزال في تقصير زمن الحروب، وهو انجاز عظيم، وكلما صاحب تلك التقنية العنصر الأخلاقي الانساني كلما ارتفعت قيمتها وايجابيتها.

في الحروب الكبيرة خلال القرن العشرين قتل عشرات الملايين دون ان يرى الناس ماذا حدث، وكيف حدث لتلك الملايين، لأن القدرات الاعلامية كانت محدودة التأثير بسبب ضعفها الفني، وبسبب قلة انتشارها.

في مجلة التاريخ الشهرية التي تصدر عن (بي بي سي) عدد شهر حزيران (يونيو) لهذا العام 2006، نقرأ بحثا طويلا بعنوان (قرن العنف، القرن العشرون) وفيه ارقام رهيبة عن ضحايا العنف وخاصة الحروب، ففي الحرب العالمية الثانية قتل تسعون مليون انسان في ثمانية وخمسين بلدا، وفي الحرب العالمية الاولى قتل نحو عشرة ملايين انسان. كما قتل ملايين آخرون بسبب الحروب الأهلية والأقليمية في مناطق كثيرة من العالم.... لكن كل تلك الخسائر والمآسي لم يكن بالامكان رصدها ومتابعتها ونقلها الى الشعوب كما هو الحال اليوم.

اذن بالأمس كان يمكن تغطية كوارث تلك الحرب لأن العيون لا تراها، اما الآن في القرن الواحد والعشرين فانه من المستحيل ان تحجب كل المعلومات وان حجبت بعض المعلومات، ومهما حاولت اطراف الصراع ان تخفي الحقيقة، او ان تنقص منها، فانها ستظل عاجزة عن اخفاء كل الحقيقة. فالتنافس في سوق الاعلام اصبح من مميزات هذا العصر، وصارت المخاطرة والمغامرة الاعلامية من البطولات التي يفاخر بها رجال ونساء المهن الاعلامية من مصورين ومذيعين ومراسلين وصحافيين، وهم جميعا يستحقون كل التقدير والاعجاب لأنهم يساهمون في تعرية وفضح جرائم الحرب، وجرائم صناع قرار الحرب، وفضح جرائم كل من يصمت عن تلك الحرب ويرضى باستمرارها، ومنهم الحكام العرب.

وهنا اريد ان اشيد بصورة خاصة بالصحافي البريطاني روبرت فسك الذي تنشر تقاريره المليئة بالمعلومات والتعليقات الرصينة على صفحات «الاندبندنت» البريطانية. ان هذا الصحافي ظل دائما مهتما ومتعاطفا مع القضايا العادلة ومنها قضية فلسطين، وظل دائما يكتب من الميدان، وليس من المكاتب كما يفعل جل الصحافيين العرب العاملين في الصحافة المكتوبة بالذات، معتمدين على وكالات الأنباء وشبكة الانترنت.

ان الآلة الاعلامية الحديثة، والخبرة والمهنية في التعامل مع الحدث بالصورة والصوت اصبحت تؤثر تأثيرا كبيرا في توجيه الرأي العام، واصبحت القدرات الاعلامية والسياسات الاعلامية قادرة على اسقاط حكومات، وتغيير استراتيجيات حكومات اخرى بكشفها عن اخطاء تلك الحكومات وتلك الاستراتيجيات.

هذا التطور الاعلامي صار تأثيره واضحا، ومع انتشار أداة الانترنت والهاتف المتنقل (الموبايل) ومعه جهازه التصويري والبرقي، دخلت القدرات الاعلامية طورا جديدا اكثر تقدما وسرعة في التواصل بين الناس في كل انحاء العالم.

مع كل ذلك يبدو ان حكام العرب ـ وبعضهم جهلة واميون حرفيا وثقافيا ـ لا يدركون ماذا يجري حولهم، وغياب الادراك يجعلهم دائما عاجزين عن تقدير الموقف الصحيح، وقد ظهر ذلك واضحا عندما استعجلوا واطلقوا تصريحات مثبطة للهمم عندما بدأ الاحتكاك بين المقاومة الفلسطينية ثم اللبنانية مع جيش اسرائيل. جيل الحكام العرب ينتمي الى عصر ما قبل هذه التطورات العلمية في مجالاتها المختلفة، وهم سبب شد الشعوب الى الخلف، وهم من يتحمل مسؤولية كل الهزائم والفشل ليس في ميادين الحروب بل جميع ميادين الحياة.

بالتأكيد ان ثورة الاتصالات والمعلومات التي اصبحت تخترق جدران قصور الاستبداد، وتصل آثارها الى ملايين المواطنين وخاصة الأجيال الجديدة، ستحدث تغييرات هائلة في خلق وعي جديد، ويظل الصراع الحقيقي هو صراع الأفكار والقيم الانسانية العادلة، والفائز فيه ـ عبر الوسائل الحديثة ومنها الاعلام ـ هو الفائز في عدة ميادين اخرى، فنوع الوعي ونوع الفكر الذي يسود في امة من الامم بابعاد ايجابية وشاملة هو الذي يصنع التحول الأساس نحو النهضة. والحروب عادة تحدث تغييرات كبيرة في المجتمعات التي تمر بها، وبقدر ما فيها من آلام، بقدر ما تكون حافزا للأحياء للاستعداد لدورة جديدة من التحدي والعمل والبناء. وتبقى الحروب حالة استثنائية مكروهة، وتبقى القدرات الاعلامية من اهم القوى المؤهلة لتقصير مدة الحرب، والتقليل من آثارها المدمرة، وتبقى كذلك قادرة على ملاحقة المسؤولين عن قرارات الحرب وما ادت اليه تلك القرارات من كوارث انسانية.

* كاتب من ليبيا

جمرة نصر الله

صلاح عبد اللطيف*

■ بين هزيمة وهزيمة، وبعد كل سطو اسرائيلي على مكان عربي جديد، كان العربي يبحث عن زنزانة جديدة يسميها تحليلا او نقدا للهزيمة، ثم يعطيها ملامح الخارطة المستقبلية، سواء كان ذلك في ميدان القمم الطارئة او في ميدان المعارضات العربية التي كانت لها قممها الدورية والطارئة ايضا، فامتلأت طاولات ومكاتب الناس ورؤوسهم بخطط طريق وتصحيح للطريق واضحة وغامضة احيانا، تشرح وتكابد ولكنها تشكو القبول والاعتراف بدون وجود اسرائيليين او انصارهم، لان السلام والحق في الحياة هما نشيدان اسرائيليان مكتسبان لا يجوز لغيرهم ان يدعيهما لنفسه. لم يتوقف ذاك السجال العبثي الا بتوقيع بعض العرب وثائق التخلي عن الارض والذات، لكي يثبتوا اخيرا ساميتهم وبأنهم كفوا عن رمي الاخر في البحر او في تيه الصحراء.

هكذا، اذا، تبدل الوعي العربي، خلال الثلاثين سنة الاخيرة بسرعة قياسية، فأصبح العربي يتقي شر الدفاع عن المقاومة العربية في اية مدينة عربية، لان المدمرات وحاملات الطائرات والشقاء والموت تدور في مياه العرب وبحورهم كي تؤثث للديمقراطية الجديدة وفوضاها الخلاقة بجثث ابناء جنين والفلوجة وقانا وبحر الغزال. وأصبح العربي الحر تدريجيا غريب الوجه واليد واللسان في وطنه وبين اخوته، فقد اطبقت على الحياة العامة بضراوة تشبه ضراوة الوباء عبارات التسامح والعولمة والافق الكوني، واصبح القبول باحتلال ارض عربية لا يكفي بل يجب الدفاع عن ذاك الاحتلال عبر ما سمي بالانخراط بالعملية الديمقراطية كما هو الحال في العراق، او بالشرق الاوسط الجديد الذي استعادته اخيرا كوندوليزا رايس وهي تكز على اسنانها وتردع آخر ملمح انساني عن وجهها: عليكم ايها العرب ان تنحازوا للموت الذي هو سعادتكم. واثناء ذلك كانت الضربة القاضية حينما تخلت النخب العربية بصورة طوعية عن معارضتها اللسانية الملعلعة، فأصبح اليسار التقليدي والجديد واليمين المتدين بتياراته الليبرالية الجديدة او القديمة منها يبارك لجورج بوش وهو يلقي خطاب النصر على الشعب العراقي واضعا رجله اليمنى فوق جثث اطفال العراق وكنوزه الثقافية واليسرى تخطو لتصل الى اطفال سورية وشيوخ لبنان. ولان القول ينفذ ما لا تنفذ الابر كما قال الاخطل مرة، فقد اصبحنا مشدوهين كيف اصبح اولئك الماركسيون بجدانوفييهم وتروتسكييهم وماوييهم وسورياليهم ايضا، يعتبرون القنابل التي سقطت فوق العراق ومدنه اجمل سمفونية سمعوها في حياتهم. كان الاعجاب العالي باقدام المتوحشين على قتل كل امرأة وشيخ وطفل عراقي قلما تجده في صحف التاريخ المطوية او المفتوحة، اولئك الذين كانوا يتحدثون عن المنفي او الاغتراب فاذا بهم يعنون الاغتراف من مائدة اللئام والعمل عندهم مستشارين او وزراء للموت.

وبضربة ساحر تفاهم المثقفون الاغترافيون مع الغرب السياسي الاستئصالي بيمينه المتصهين ويساره التابع الخانع، لانهم لم يعودوا في تناقض معه، طالما انه انقذهم من ظلمات الجهل ونقلهم الى نور الهداية. ومن المعلوم ان الغرب السياسي الاستعماري لا يعنيه الصراع الفكري في شيء بعد اليوم، فصراعه سياسي واقتصادي، ولذلك فمن غير المستغرب ان يعتبر بريمر في مذكراته حميد مجيد موسى سكرتير الحزب الشيوعي العراقي من الشخصيات الاريحية المرنة.

في مثل هذه الاحوال الصعبة، لم يكن امام الاحرار في هذه الامة الا الذهول الروحي المتكبر والاعزل في آن، وكانوا يرددون اللهم الخوف من الحاضر المؤقت ولا خيانة الحاضر والمستقبل، وتعوذوا بالله من شهوة الكلام الذي كان مقصده تنشيف الاوطان من ضمائرها وابنائها.

ثلاثة اعوام مضت ونحن نحاول ترميم ارواحنا بادوات لم تنفعنا كثيرا، لا الكتب ولا التاريخ ولا الشك. اصبحنا دون مراجع ولكن بمواجع لا تعد. لقد زج بنا الى اللافاعلية، عرايا بلا امل لا نملك الا اصواتنا المجروحة. لقد انتصرت ثقافة الابادة والالغاء، واعلنا بصوت خافت هزيمتنا ولما عقولنا التي خدعتنا من جديد.

الان انتهى زمن الشقاء، حين فوجئنا بوعد السيد نصر الله الصادق، الذي خبأ لنا اكثر مما حسبنا. فلأول مرة في تاريخنا المعاصر نشعر بقائد يطبق في افعاله المثل العليا التي ينادي بها. يحب وطنه بمسلميه ومسيحييه ودروزه وطوائفه المتنوعة، وينفتح على اخوته الفلسطينيين والعرب وجميع المسلمين والاحرار في كل هذا العالم. انظر الى هذا السيد الشاب بطلعته الواثقة التي يخالطها شيء من الحياء لا يشبه الخيلاء الاجوف الذي يتنطع به الحكام المهزومون، سواء من كان يضع السيجار في فمه او من وضع الماء طوعا في فمه كي تكون عباراته اعجمية غير مفهومة.

فللمرة الاولى في حروبنا العربية لم نر طوابير من الاسرى العرب العراة بعد ايام قليلة من اي هجوم اسرائيلي او امريكي على اوطاننا. الان شطب نصر الله من القاموس الرسمي العربي كلمة التضامن العربي التي كانت تعني عندهم (قاتل انت ودعني اتمتع بالحكم). الان تحررت الناس من وهم ان تتحرك المحميات الامريكية في كل ارجاء الوطن العربي لنصرة اخوتهم في فلسطين او العراق او لبنان. اليوم ادخل نصر الله والمقاومة الوطنية اللبنانية المفاجآت الى حياتنا بعد ان اصبحت حياتنا رتيبة بلا مفاجآت. اليوم رسم نصر الله خارطة عالمية جديدة للحق والباطل، رغم حموضة الباطل الكاوية.. فهذه الحرب هي حرب الولايات المتحدة اولا ثم اسرائيل تاليا وكل اصدقائها ثالثا، اولئك الذين اقاموا الدنيا بحديثهم عن انقاذ سكان هذه الارض من كارثة نووية، فاذا بهم يمتنعون عن انقاذ شعب لبنان من الكارثة العبرانية. وها هو نصر الله يعيد الى الامية الانسانية صفاءها اللاحزبي واللاديني، بحيث تدفع كلماته شعوب آسيا في الهند وباكستان وبنغلاديش واندونيسيا وماليزيا وافريقيا السمراء وامريكا اللاتينية في الارجنتين وكولومبيا والمكسيك والبيرو، فيما تفرق التظاهرات المنددة بالعدوان في السعودية ومصر والاردن وغيرها. واخيرا قصى نصر الله بهدوء على لعلعات من سبقوه ممن كانوا يقولون فلا يفعلون، ينما يفعل هو وقلما يقول.

ان الفارس العربي، نصر الله ورفاقه الصابرين المجاهدين يشتبكون مع المتوحشين في معركة الدفاع عن الجنس البشري. فشكرا لك يا سيدنا لانك اعدت لنا اصواتنا واخرجتنا من عزلتنا الباهظة، وشكرا لك ثانية لانك اتحت الفرصة لكل الناس ان ترى جبال الجليل وتضاريس فلسطين الشمالية وغبطة عربها بنذائك الرسولي الذي لا تطيقه حكومات تحسين سعر النفط.

* شاعر من العراق يقيم في المانيا

صاروخ كفار جلعادي: نعيم الحاج سعيد يبعث حيا

علي بدوان*

■ مستعمرة كفار جلعادي التي هوت فوقها صواريخ حزب الله، وبالذات الصاروخ الذي اطاح برؤوس (12) جندياً من جنود جيش الاحتلال صباح 2006/8/6، تقع على خط التماس القريب من الحدود الفلسطينية ـ اللبنانية التي رسمها كل من سايكس الانكليزي وبيكو الفرنسي عام 1916.

تقوم مستعمرة كفار جلعادي القريبة من مدينة صفد عاصمة الجليل الفلسطيني، والى الشمال القريب منها على انقاض مساحات من القرى السبع المعروفة (هونين، قدس، قبريخا، صلحا، النبي يوشع، المالكية، ابل القمح) وذلك بعد طرد سكانها من المواطنين الفلسطينيين واللبنانيين، الذين حلوا لاجئين في مخيمات سورية ولبنان، وتحديداً في مخيمي النبطية، والبرج الشمالي ومنطقة صور في لبنان، وفي مخيمي جرمانا وخان دنون قرب دمشق.

تندرج مستعمرة كفار جلعادي في اطار مستعمرات الموشاف الصهيونية، حيث جرى بناؤها منتصف الخمسينيات من القرن الماضي، وضمت الى جوارها مستعمرتي كفار يوفال، ومعياف باروخ، حيث اجريت تعديلات هامة على تكوينها بعد العام 1967، فتحولت الى مستعمرة زراعية عسكرية، تضم بين ثناياها تجمعات ومواقع تدريبية لجيش الاحتلال ومجموعات الناحال العسكرية.

لم تسلم مستعمرة كفار جلعادي والمستعمرات المجاورة لها من اعمال وفعاليات القصف المدفعي والصاروخي التي مارستها القوات الفلسطينية على امتداد السبعينات والثمانينات. وتم استهدافها من خلال العديد من العمليات الاستشهادية، ومنها العملية الاستشهادية الكبيرة التي نفذتها وحدة فدائية مختارة من جبهة التحرير العربية في 1975/11/10 ومكونة من ثلاثة فدائيين استشهدوا بقيادة الشهيد عبد الرحمن امزغار من المغرب العربي. وتبعتها عملية استشهادية في مستعمرة كفار يوفال في 1975/6/5 التي نفذها ثلاثة فدائيين استشهدوا بقيادة الشهيد نعيم الحاج سعيد من مخيم اليرموك. ثم عملية مسكاف عام في 1988/4/7.

ان الضربة الصاروخية الموجعة التي نفذتها المقاومة الاسلامية اللبنانية وحزب الله الى تجمع قوات الجيش الاسرائيلي في مستعمرة كفار جلعادي، وسقوط الاعداد المتزايدة من جنود الاحتلال اثناء اطلاقهم النار من مدافع الميدان (الهاوزر) الثقيلة، من داخل مستعمر كفار جلعادي باتجاه قرى لبنان الجنوبية، اعادت واحيت من جديد قوة الارادة والمقاومة، واعادت واحيت من جديد ذكرى الصديق الشهيد ابن مدينة صفد واللاجيء في مخيم اليرموك نعيم الحاج سعيد بعد سنوات طويله من مغادرته دنيا الناس اثر العملية الفدائية التي قادها اثناء اقتحام مستعمرة كفار يوفال المجاورة لمستعمرة كفار جلعادي.

فضلاً عن ذلك، فان الضربة الموجعة التي مني بها جيش الاحتلال، بمقتل (12) من جنوده، تؤكد بان لا احد يستطيع ان يفرض على لبنان وشعبه الحلول القائمة على منطق القوة والغطرسة، فميدان المقاومة واسع وفسيح، ومن خلاله تستطيع قوى المقاومة ان تكبد العدو الثمن الفادح، وان تلحق به المزيد من الاضرار. فالشعب اللبناني والمقاومة ليسا «خراف» على مذبح السكاكين الاسرائيلية.

وعليه، ان نبل المقاومة، يبرز في الفرق الشاسع بين استهداف المدنيين كما تفعل طائرات وبوارج وقوات الاحتلال، وبين استهداف العسكريين كما تشق طريقها المقاومة وحزب الله.

* كاتب فلسطيني ـ دمشق
عضو اتحاد الكتاب العرب

الخروج من شرنقة السؤال: غياب الخطاب ام غياب المثقف؟

عبد السلام العطاري*

■ ايام ثقافية، يعيشها بيت الشعر الفلسطيني، محاولة منه اضاءة طرقات ما زالت منطفئة، رُغم ان البعض يشيرون الى ان هناك ضوءاً يلمع في زاوية ما، سرعان ما نجده سراجاً يقارب على الانطفاء، اسئلة كثيرة وقلة متكاثرة تحاول اجتراح اجوبة او استدراك المطروح من الاسئلة على طاولة البيت المستديرة وحول علامة السؤال، لتصبح اجابة غير شافية او كافية لسائل يُلحّ طلباً للمعرفة او المعرفة، غياب ملحوظ للنخبة المثقفة او جمهور يتوسط يافطة المثقفين، يحتاجها الباحث عنها والحيرة التي ترسمها اقلامهم مبعثها سؤالان هما مظلة الحدث او المشهد الثقافي... غياب المثقف الموَّحد او الموحِّد وحضور مميز للرسالة الثقافية؟

ام غياب الرسالة والبوصلة تائهة بين منابر ثقافية تَشَتّتَ الخطاب عليها، وحضور مميز للمثقف؟

قيل ان الشمس لا تُغطى بغربال، ولكن على ما يبدو فان شمس الثقافة الفلسطينية يسهُل حجبها بقصاصات متطايرة مبعثرة من نافذة نخبوي رمى بها وكل مجانين القلم لا يقدرون على التقاطها، هذه البئر المحكومة بالجفاف، اذا ما نُظر اليها من شرفات المنابر، او امتلأت بعصارات الفكر والفقه والابداع الفلسطيني المتطاير كالقصاصات تلك، اذا ما اكثرنا منها والقينا بدلو يُنهض منها ما يطفيء ظمأنا ورغبتنا بالارتواء او يزيد.

نحن، الضمير المعلن، الراغب بالوجود، وبالحياة وبالاستمرار، المنتظر لنبي يحمل قلماً لا فأساً ليكتب في القصيدة بيتا، أو شطرا او يتوّج النص بتعويذة للعابرين الى حقول خُضر، والحصاد رغيف خبز يكفي قوت دهرنا، لا الاصنام باقية ولا درج المنابر المقفلة على بضاعة لا تُرَدُ او تَرُدُ، سؤال قديم يقول : من يصنع التاريخ؛ الجماهير الكادحة ام الابطال الافذاذ؟!

سؤال لا يحتاج الى اجابة، بقدر ما يحتاج الى الخروج من شرنقة السؤال الى حيز الجواب، هو الفعل... ليحتفل التاريخ بذكرنا، ونكتب فيه سطراً، افضل ان نكون سطراً فيه.

* رئيس تحرير مجلة «ادبيات»
www.adbyat.com

الاعتراف بالعجز، هو علاج المحنة

عبد الواحد كمبال*

■ ما هو ماثل، في فلسطين منذ النكبة، والذي حادث في لبنان، والعراق قبلها، يشكل قمة العجز وفشل النظام العربي. وهو واقع للأسف أصبح تقبله والتعايش معه، حتى على مستوى شعوب البلدان العربية، لا يقابله غير الشعور بالأسى والاحباط. لأن هذه «الشعوب» أصبحت غاية الإدراك، بصدق القول..

كل امرئ يحتل في الأوطان غير مكانه..
المال عند بخيله، والسيف عند جبانه..

ولولا المقاومة المتوارثة جينات في مسام الشعب الفلسطيني، لما تبقى سيف يعارك الظلم والعسف، ويظل ذلك هو الجذوة والومض الوحيدين في هذا الجسد المسمى «الوطن العربي» حتى إشعار جديد.

النظام العربي البئيس، يتلهى سعيدا بهذا التآكل في جسد أمته، الذي تنقله الفضائيات، ويتعذر، بعدم مواتاة العصر للنضال ضد الامتهان والعسف والظلم، ويوكل لكاتبه في «مؤسسة» البطالة المقنعة «الجامعة العربية» أن يحيل قضيته إلى مجلس الأمن والأمم المتحدة، حيث ظلت لأكثر من نصف قرن، مسيجة «بالفيتوهات» الامريكية، ويجري حقنها بالحروب والعدوان، وتشتيت شعب بكامله في «دياسبورا» عصرية لا تشابه حال «النور– الغبس» الذين ارتضوا هذا الخيار دون إرغام.

النظام العربي، لسنوات طويلة، مارس الكبت والقتل والانقلابات والتصفيات، كل في رقعته المسماة بلد، باسم قميص عثمان هذا، المسمى القضية المصيرية. مصالح حينا بلا حقوق وثمن، وحينا على استحياء، ومعظم الأحيان بلا خجل أو كرامة.

النظام العربي، «مجازا» في مباهاة، وطلبا للوجاهة يتسابق على الانضمام والمشاركة في الأمم المتحدة، عدم الانحياز، المؤتمر الإسلامي، ويكون «جامعته» الكسيحة.. إلخ. يدخل أندية التلهي هذه الاندية الكرتونية، ما صدت عدوانا، أو أعادت حقا مسلوبا.

النظام العربي، في كليته، يرهن نفسه وشعوبه وبلدانه، لدى الولايات المتحدة، بعد إسهامه في ترجيح كفة ميزان القوى الدولية، بانحيازه للولايات المتحدة، ومخططاتها للسيادة على خلق الله.

لم يسائل هذا النظام العاجز أين تضامن هذه المنظمات الكرتونية معه؟

ولم يجد الشجاعة والمسؤولية الوطنية للانسحاب منها، والاستقالة من مكاتبها كأندية ماسونية..

ولم يعد لنفسه ليسأل ما العمل؟ وأين طريق الخلاص؟

ولم يرجع لشعوبه، يفتح لها قماقم كبته لتقوم رأيها، في ديمقراطية حقة، وحرية كاملة، ذلك طريق الخلاص..

فهذا النظام العربي، لا يعترف بعجزه، حيث يشكل هذا الاعتراف، بابا للخروج من المحنة والأزمة.

يكابر، لأن بعضه يخاف من شعبه ولا يخاف من «البيت الأبيض» لأنه الحامي والحليف.

وبعضه، يخاف من بعضه، ولا يخاف من «إسرائيل» تعاهدا واعترافا.

وبعضه يخاف من «إيران» ولا يخاف حتى من الله.

يصدق القول تماما : المال عند بخيله والسيف عند جبانه.

وحيٌ على الشعوب
فإنها قادرة على الاقل، الوقوف متضامنة وداعمة لشعبنا في فلسطين..

قادرة في رمزية الصيام عن مشتقات الكوكا، والافطار في الماكدونالد، والكف عن تنسم المالربورو..

فنظامنا العاجز لن يقطع نفطا.. ولا علاقات مع الظالمين...

* كاتب من السودان